حيفا طويلا في ايدي المسلمين اذ استرجعها الفرنجة منهم ، والجدير بالذكر ان الملك لويس التاسع حوالي سنة ١٢٥٠ ــ ١٢٥١م حصن فيها القلعة التي تعرضت للخراب ثانية على يد المماليك وذلك في سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م . فينكر القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) ، في اخبار سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م ، مما يلي : « وفي سادس وعشرين جمادي الأول (٢ آذار ١٢٦٥م) توجه السلطان (الظاهر بيبرس) الى جهة عثليت جريدة وسير الامير شمس الدين اقسنقر السلاح دار الظاهري والأمير عز الدين الحموي والامير شمس الدين سنقر الألفي الظاهري الى حيفا فساروا اليها ودخلوا قلعتها فنجا الفرنج بانفسهم الى المراكب بعد ان قتل منهم واسر ، واحضرت الاسارى والروس ، وخربوا المدينة وقلعتها واحرقوا ابوابها وجعلوها خاوية على عروشها كأن لم تكن بالامس. وكان اخذها وما اعتمد فيها من قتل واسر وخراب واحراق في يوم واحد وعاد الامراء سالمين »[٩] . ويؤكد على هذه الصورة من الخراب احمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) الذي ينقل عنه الكاتب الموسوعي شهاب الدين احمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ، وصفه لحيفا بهذه الكلمات : « وهي خراب على الساحل»[١٠] والى مثل ذلك اشار البحارة العثماني بيري محي الدين ريس .[١١] (ت ح ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤ . م) ، في مؤلفه : **كتاب بحرية** ، الذي قدمه سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥ م) الى السلطان سليمان القانوني ، حيث ذكر ان قلعتها مدمرة لكن ميناءها يصلح للرسو .[١٢]

كانت حيفا في العهد المملوكي جزءا من عمل اللجون[١٣] الذي كان تابعا لصفد والتي هي

---

(٩) حول هذا الدمار الذي لحق بحيفا في عهد السلطان الظاهر بيبرس ، انظر محي الدين بن عبد الظاهر **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٣٤ وكذلك راجع بيبرس الدوادارس المنصوري (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** ، المتحف البريطاني ، رقم Add. 23325 ورقة ٧٠ ب ، راجع ايضا تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، م١/ق٢ تحقيق محمد مصطفى زياده ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٥٢٧ ــ ٥٢٨ ، والملاحظ ان الشيخ قطب الدين يونس بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) لا يذكر خبر مهاجمة حيفا في اخبار سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م ، انظر **ذيل مرآة الزمان** ، ٢م ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م ، م٢ ، ص ٣١٨ . اما ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) فيشير الى ان الظاهر بيبرس فتح قيساريه « وتسلم قلعتها في يوم الخميس الآخر خامس عشرة فهدمها وانتقل الى غيرها « **البداية والنهاية**»، ١٤م ، بيروت ، ١٩٦٦ ، م١٣ ، ص ٢٤٤ .

(١٠) القلقشندي ، **صبح الاعشى في صناعة الانشا** ١٤م ، المطبعة الاميرية ، دار الكتب المصرية ١٩١٣ ــ ١٩١٩ ، م٤ ، ص ١٥٥.

(١١) حول حياة هذا البحار انظر :

Franz Babinger, «Piri Muhyi al-Din Reis» *E.I*, Vol. III, *pp.* 1070-71.

(١٢) انظر هذا الوصف في النص الذي ترجمه ونشره U. Heyd, «A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteenth Century», *Israel Exploration Journal*, Vol. VI, (1956), *pp.* 201-216.

(١٣) حول اللجون انظر صدر الدين محمد بن عبد الرحمن العثماني الدمشقي (ت ٧٨٠هـ/ ١٣٧٦م) حيث ينكره على انه ولاية من العمل السابع في صفد وان اهله من عشير يمن

Bernard Lewis, «An Arabic Account of the Prvince of Safad», *BSOAS*, Vol. XV-3, (1953), *p.* 483.

وانظر ايضا ياقوت ، **مصدر سبق ذكره** ، م ٤ ، ص ٣٥١ .